مآذن حطين

حسن علي شهاب الدين - مصر

ثرىً على القدس تيّاهٌ بخطو نبي
وقبلةُ السجدة الأولى مُعطّرةٌ
تمشي الجراحُ إليها وهْيَ حاسرة
سَعْيًا إلى الله لا شكوى ولا ضجرٌ
عهدٌ مع القدس نرضى بالردى ثمنا

ياقدسُ ترسمُني الأحلامُ قُبّرةً
تصاحبُ الشمسَ في الجدران عالية
تُعلّقُ الشدوَ في الصفصاف من فرح
وكلُّ زيتونة في القدس طاهرة

ياقدسُ ترسمُني الأحلامُ أغنيةً
أغفى الظلامُ على كفّيه وانتفضتْ
يدسُ في الرّق إعصارًا ويطلقُه

ياقدسُ يا غربة لا تنتهي أبدا
تناثرتْ سنواتُ العمرِ ضائعة
حملتُ تاريخَ ترحالي على كتفي
ضاقتْ بيَ الأرضُ في سهلٍ وفي جبلِ
لا غيمةٌ في سماء القدس تعصمُني
لا صوتَ مئذنةٍ في الأفقِ يُطلقني

وقُبّة تكتبُ التاريخَ باللهب
بما توضّأ فيها من دم سرب
وثائرُ الجمر فيها غيرُ مُحتجب
تمشي على الشوك تلقى الموتَ عن كثب
لتهجعَ الروحُ بين الظلّ والعُشُب

عن أفقك الحُرّ لم ترحلْ ولم تغب
وتقرأ الليلَ في إشراقة الشُهب
وتستظلُّ بما في الكرْم من عنب
ما ازّينتْ بسوى ريشاتها القُشب

لشاعر خلفَ صوت الحقّ مغترب
حروفُه توقظُ التاريخَ في الكتب
فتشعلُ الكلماتُ البرقَ في السحب

أنا اغترابُك مذ «ستّين» فاقتربي
فليتَ في طُهر ذاك التُرْب منقلبي
وسرتُ من تعب أهوي إلى تعب
فأين مني مقيلُ الروح في التُرب
من السراب على بيداءَ تلعبُ بي
على طفولة درب في لم يشب

● فازت القصيدة بالجائزة الأولى في مسابقة (القدس عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٩م) التي أجراها المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالسعودية.

غابتْ خُطايَ فمدَ الظلَ مرتقبا
يهفو لطفلٍ إلى الأصحابِ مرتقبِ

كانوا صغارًا لهم في القدسِ مملكةٌ
جُدرانُها من طفولاتٍ ومن لُعبِ

مُجنَحون بأحلامٍ ملوّنةٍ
وما لأجنحةِ الأحلامِ من زغبِ

كانوا..وها قد غدَوْا حُرّاسَ مملكةٍ
من السرابِ بأسيافٍ من الخشبِ

كلٌ وراءَ جدارِ الوهمِ..تخذلُه
جدرانُه ويجدُ العمرُ في الهربِ

كأنجمِ الليلِ ضاعتْ خلفَ كلِ مدى
وشُرِّدَتْ في مدارِ الأرضِ من حقَبِ

ياقبلةَ النورِ كمْ من سجدةٍ طهرتْ
على ثراكِ تدنّسُها يدُ النوبِ

هذي مآذنُكِ الشمّاءُ ترقبُنا
تهفو لصوتِ بلالِ العاطرِ الحدبِ

تطلّعتْ في سماءِ اللهِ من ظمأٍ
لعلَ تبصرُ خطوَ السادةِ النُجُبِ

مرّتْ عليها صلاةُ الفجرِ مطفأةً
فليتَ حطّينَ تأتي في ضحىً شحبِ

أذّنْ بلالُ فكمْ «بدرٍ» وكمْ «أحُدٍ»
وراءَ صوتِكَ تدعو العُرْبَ لمْ تخبِ

ياقدسُ يا أبجديّاتِ العُلا انْهمري
على قصيدي وفي أبياتِه انْسكبي

وعَمّري كلَ بيتٍ منه منهدمٍ
بألفِ بيتٍ بكبْرِ الحقِ مُنتصبِ

ما عدتُ أملكُ غيرَ الشعرِ فاستمعي
صوتَ الخلودِ..فحرفي ضجّ بالصخبِ

أنا وصوتي وأشعاري كتيبُ هوى
جئنا إليكِ بمثلِ الجحفلِ اللجبِ

هذي الحروفُ انتضاها سيفُ أخيلتي
و«السيفُ أصدقُ» هل في السيفِ من كذبِ؟!

دمي يزلزلُ أفْقَ القولِ في ورقي
فعطّريه بنارِ الثأرِ واختضبي

خوضي معي في دروبِ الموتِ واقتطفي
وردَ اللظى وعلى جمرِ الجراحِ ثبي

لا تسْأمي الموتَ..إنّ الموتَ ديدنُنا
نأتيه عن رغبٍ في الخُلْدِ لا رهَبِ

لا تسْأمي الموتَ..كم متنا على ثقةٍ
أنّ المماتَ أخٌ للعيشِ في النسبِ

لا تسْأمي الموتَ..ماتَ الموتُ من زمنٍ
لم يبقَ بعدَكِ غيرُ المجدِ والعربِ